الفصل الثانى .

نظام الحكم العثمانى واحوال العالم العربى خلال تلك الفترة

١- نظام الحكم العثمانى : -

بعد ان استتبت الامور للدولة العثمانية وقامت بفتوحاتها المتعددة أصبحت دولة مترامية الإطراف يصعب السيطرة على أمور ولاياتها البعيدة عن الاستانة قسم العثمانيون الاقاليم العربية إلى ولايات كما ارتكز نظام الحكم العثمانى فى العالم العربى على اربعة أمور أساسية هى :

١- الإبقاء على احوال العالم العربى الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والتركيبة السكانية كما هى قبل الفتح العثمانى لها ، فلم تحاول الدولة العثمانية مثلا صبغ أهل الولايات العربية التابعة لها بالصبغة العثمانية أو بربطهم برباط الحضارة العثمانية [١] ، كما لم تحاول فرض اللغة التركية عليهم بدلا من اللغة العربية .

٢- عزل العالم العربى عزلا يكاد يكون تاما عن التيارات الاقتصادية والسياسية العالمية بحيث لايتاثر بما يدور فى العالم الخارجى .

٣- كان المجتمع فى نظر العثمانين عبارة عن قسمين :-

الاتراك وهم الحكام الذين يتمتعون بكافة الامتيازات ، والرعية وهم المحكومون الذين يتحتم عليهم خدمة الحكام والاستجابة لمطالبهم هذا إلى جانب طبقة المماليك .

وقد أدى انعزال الطبقة الحاكمة التركية عن الاهالى وتعالى أفرادها عليهم إلى ضآلة تأثير الحكم العثمانى [٢] .

٤- ان فكرة الحكم عند العثمانيين كانت ترتكز على أن للدولة وظائف محددة ، ومسئوليتها لا تخرج عن المحافظة على سيادتها ومصالحها فى هذه الولايات أما عن الخدمات العامة مثل التعليم والصحة فانها لاتدخل ضمن مسئوليتها أو اختصاصاتها ، ومن هنا تحددت مهام الدولة العثمانية فيما يلى :

١- الدفاع عن الولايات التابعة للدولة وحفظ الأمن فيها

٢- جمع الأموال وإنشاء إدارة مالية خاصة بذلك

٣- إقامة نظام قضائى للفصل فى المنازعات التى تحدث بين الاهالى

وعلى هذا النحو ارتكزت فلسفة الحكم العثمانى على عدة أنظمة كان أهمها :

الوالى -الديوان -الحامية العثمانية -العصبيات المحلية [٣] ، وفيما يلى نعرض لذلك :

أولا الوالى :-

كان السلطان العثمانى يعين الوالى بصفته نائباً له فى الولاية التى يحكمها وكان يلقب بعدة ألقاب منها لقب الباشا وقد وكلت إليه السلطتان المدنية والعسكرية ومسئولية جمع الضرائب فكان على رأس الجهاز الادارى وكان يقود الجيوش بنفسه [٤] ، ويبلغ الرعايا بأوامر السلطان ويقوم بارسال المقررات

---

[١] محمد رفعت رمضان :على بك الكبير ، القاهرة ، دار الفكر العربى ١٩٥٠ ص ٦

[٢] محمد أنيس :حضارة مصر الحديثة ص ١٤٤

[٣] محمد عبد المنعم الراقد :الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، الاسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة ١٩٦٨ ص ٢٦٨

[٤] اميرة المداح : العثمانيون والامام القاسم محمد فى اليمن ، جدة ، مكتبة تهامة ١٩٨٢ ص ١٤٨

المفروضة على ولايته الى الخزانة السلطانية ، ومع كل ذلك فانه نظرا لشكوك السلاطين فى ولاتهم وعدم الثقة فيهم وخشيتهم من الانفصال بولاياتهم عن الدولة العثمانية ، فقد احاط السلاطين الولاة بجواسيسهم وعمالهم ، وأخذوا ينتزعون منهم العديد من اختصاصاتهم ، فتركزت النواحى المالية فى يد الدفتردار الذى كان يعين رأسا من القسطنطينية ، وتركزت النواحى الادارية فى يد الكتخدا أو الكخيا الذى كان تعيينه يتم بالقسطنطينية وكانت السلطة القضائية ينفرد بها قاضى القضاة الحنفى الذى كان ترسله القسطنطينية ، وإلى جانب ذلك كانت الحاميات العثمانية (الاوجاقات) تخضع لسلطة الأغوات الذين لم يكن للوالى سلطات عليهم وكثيرا ما حدثت النزاعات بينهما. يضاف إلى ذلك أن مدة حكم الولاة كانت تقتصر على عام واحد يتجدد فى بعض الحالات ولا يستكمل فى حالات أخرى .

ونتيجة لذلك حرص الولاة على جمع كل ما يمكن جمعه من الأموال خلال فترة حكمهم، وبشتى الطرق، مشروعة وغير مشروعة، ومحاولة ملء خزائنهم خلال تلك الفترة القصيرة التى يقضونها فى ولاياتهم وخاصة أنهم كانوا يشترون مناصبهم قبل توليتهم اياها. هذا بالإضافة إلى إهمالهم للمشروعات العمرانية والإصلاحية مثل: حفر الترع أو إقامة السدود أو غيرها [1]

ثانيا: الديوان:-

الديوان كلمة فارسية بمعنى الدفتر أو السجل، وقد أطلق على المكان أو الدائرة التى تحفظ فيها السجلات من باب المجاز[2] ، ثم شمل بعد ذلك المكان الذى يحفظ فيه كل ما يتعلق بحقوق السلطنة العثمانية من الأموال والأعمال ومن يقوم بها من العمال والجيوش وكان الديوان ينقسم إلى قسمين:

الديوان الكبير وهو الذى يفصل فى الموضوعات المهمة، ولا يجتمع إلا بأمر الباشا، والديوان الصغير وكان يتالف من الكتخدا والدفتردار وهو الذى ينظر فى شئون البلاد العامة ، وينفذ الباشا قراراته.[3]

ويتكون الديوان الكبير من كبار ضباط الحامية وعلى رأسهم أغا الانكشارية والدفتردار والعلماء وكبار الممتولين، وكانت العضوية فى الديوان غير ثابتة، وكان الباشا فى معظم الأحيان هو الذى يختار أعضاؤه.

وكان للديوان تأثير كبير فى ادارة الولايات فكان بمثابة مجلس وزراء موسع مهمته الرئيسية مراقبة قرارات الوالى والنظر فى الشئون الاقتصادية والادارية، وتنظيم شئون القوات العسكرية.

ونتيجة لخشية الدولة العثمانية من تمرد ولاتها عليها والاستقلال بولاياتهم جعلت من أعضاء الديوان عيونا لها على الولاة يبلغونها بتصرفاتهم لمنع الولاة من إساءة استعمال سلطتهم.

ثالثا: الحامية العثمانية:-

هى قوة عسكرية عثمانية كانت ترابط فى الولايات وقد أسست هذه الحاميات فى أعقاب الفتوحات العثمانية للوطن العربى، فبعد أن فتح السلطان سليم الأول مصر ترك بها حامية تتألف من حوالى اثنى

---

[1] للتفاصيل أنظر محمد كرد على : خطط الشام جـ٢ ، بيروت ، النهضة العربية ١٩٧٢ ص ٢٢٥.

[2] صبحى الصالح : النظم الإسلامية جـ٢ ، بيروت ، دار العلم ، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ص ٣١٢.

[3] محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وظهور محمد على ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩٦٣ ص ١٠-١١.

عشر ألف جندى يتكون منها ستة أو جاقات على رأس كل منها أغا، وكانت هذه الحامية تتكون من أخلاط مختلفة من العسكر [1]

وكانت مهمة الحاميات: حفظ النظام والدفاع عن الولايات ضد أى خطر خارجى، وقمع العربان. كما كان لها اختصاصات سياسية وادارية، فكان رؤساؤها يشاركون الوالى فى الحكم كما كانوا يحضرون اجتماعات الديوان، وكانت لهم الكلمة المسموعة. وإلى جانب ذلك كانوا يقومون بتوصيل الخراج إلى ا ستانة وكثيرا ما حدثت الخلافات بينهم وبين الوالى ، وكان التفوق فى الفترة الأولى من الحكم العثمانى للوالى ، ثم استطاع رجال الحامية بعد ذلك ان يسيطروا على زمام الأمور .

وعندما دب الضعف فى الدولة العثمانية ضعفت الحاميات فى الولايات وفسد امرها ، ولم تعد صالحة لاستتباب الأمن ، بل تحول افرادها إلى السلب والنهب والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها أن الحامية فى بلاد الشام كانت من أهم أدوات التخريب ، فقد خرج جنودها عن اختصاصاتهم وكثر اعتداؤهم على الأهالى وتطاولوا على أموالهم وأعراضهم وكثرت شرورهم [2] .

وفى عدن ثار الأهالى ضد تسلط الحامية العثمانية وغدرها بأميرها عامر الطاهرى ، فاضطرت ا ستانة إلى أن ترسل أسطولا بحريا لم يتمكن من السيطرة على الموقف إلا بصعوبة [3] .

وفى تونس أعلن الجنود عصيانهم ، وهددوا النظام باعتدائهم على الأرواح والممتلكات .

وفى مصر ركنت الحامية العثمانية إلى حياة الاستقرار واندمجت فى الشعب المصرى ، وتركت حياتها العسكرية لدرجة أن الحملة الفرنسية حينما هاجمت مصر فى أواخر القرن الثامن عشر لم تجد من يتصدى لها سوى المماليك وجموع الشعب المصرى .

رابعاً : العصبيات المحلية :-

كان هدف العثمانيين من إشراك العصبيات المحلية فى الحكم هو الاستفادة منهم فى إدارة الولايات التى يحكمونها وحتى يظلوا على ولائهم للدولة العثمانية ولا يقوموا بالتمرد عليها. ونتيجة لذلك شارك المماليك فى تولى مقاليد بعض الامور فى مصر، كما شاركت بعض العشائر العربية فى الشرقية والبحيرة فى حكم المناطق التى تقطنها، واعترف السلطان العثمانى بالعصبيات الكردية وأبقى حكم كردستان للبيوتات الكردية الحاكمة فى شمال العراق، كما ترك لمشايخ العراق سلطة إدارة عشائرهم، ومن أهم هذه المشيخات مشيخات الخزاعل والعبيد وشمر والمنتفق.

والسؤال المطروح هو هل ظلت هذه العصبيات على ولائها للدولة العثمانية أم تحينت الفرص للتخلص من الحكم العثمانى واستقلالها عنه ؟

الواقع أن هذه العصبيات كانت غالبا ما تتطلع إلى استرجاع نفوذها القديم، ومن هنا أخذت فى لستغلال فرص انشغال الدولة العثمانية بمشكلاتها الخارجية والداخلية، ففى مصر استطاع على بك الكبير المملوكى القيام بثورة ضد الدولة العثمانية فى عام ١٧٧١م والانفصال عنها، ولم يستطع العثمانيون السيطرة على زمام الموقف إلا بعد الوقيعة التى دبروها بين على بك وقائده محمد أبوالدهب .

---

[1] للتفاصيل أنظر الراقد : المرجع السابق ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

[2] محمد كرد على : المرجع السابق ص ٢٢٥.

[3] فاروق اباظة : الحكم العثمانى فى اليمن ، بيروت ، دار العودة ١٩٧٩ ص ٢٠.

وفى اليمن استطاعت العصبيات المحلية القيام بثورات متعددة ضد الحكم العثمانى، تمكنت خلالها من انهاك جيوش الدولة العثمانية حتى اضطرتها إلى الجلاء عن اليمن لفترة .

وفى وسط الجزيرة العربية قامت الدعوة السلفية التى دعت إلى العودة بالإسلام إلى مبادئه الأولى وألصقت بتهمة نشر البدع والخرافات فى العالم الاسلامى على العثمانيين .

وفى العراق قامت العصبيات المحلية بالعديد من الثورات ضد الحكم العثمانى مثل ثورة آل مهنا فى جنوب العراق وآل شعيب فى البصرة والعشائر الكردية فى كردستان .

وفى الشام قامت أسرة آل العظم، وظاهر العمر بمحاولات للاستقلال الذاتى عن الحكومة المركزية فى استنبول .

ومع ذلك فإن خروج هذه العصبيات المحلية على السلطنة لم تقلق الدولة العثمانية كثيرا وخاصة أنها كانت تستطيع الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة فتستعيد نفوذها وعلى سبيل المثال نذكر على بك الكبير وظاهر العمر اللذين استغلا فرصة انشغال العثمانيين فى حروبهم مع الروسيا ونجحا فى الانفصال عن الدولة ورفع راية العصيان ضدها فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر، ثم ما لبثت الدولة أن استرجعت نفوذها على المناطق التى كانوا يحكمونها بعد انتهائها من الحرب .

٢-أحوال العالم العربى فى ظل الحكم العثمانى :

بعد أن سيطرت الدولة العثمانية على العالم العربى فى معظمه، وصارت الدولة الإسلامية الوحيدة فى المنطقة تقريبا، تحول العالم العربى إلى منعطف جديد فى النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفيما يلى نعرض لذلك .

أولا الأحوال السياسية :

١-انتقال مركز الخلافة من القاهرة إلى ا ستانة :

بعد هزيمة المماليك أمام العثمانيين انتقل مركز الخلافة من القاهرة إلى ا ستانة واتخذ السلطان سليم الأول لقب الخليفة ليضمن ولاء العرب والمسلمين له على اعتبار أن الخليفة هو فى الواقع خليفة رسول الله وانه يجب على المسلمين طاعته .

٢-العثمانيون والأماكن المقدسة :

أضفت الدولة العثمانية حمايتها على الأماكن المقدسة لما لها من أهمية دينية، وحمل السلطان العثمانى ألقاب حامى حمى الحرمين الشريفين، وخادم الحرمين الشريفين، وهو لقب يكسب من يحمله احترام المسلمين وتقديرهم وكان السلطان سليم الأول قد اتخذ لنفسه هذا اللقب بعد أن أرسل شريف مكة ابنه إلى القاهرة ليبلغ السلطان العثمانى ولاءه واعترافه بالسيادة العثمانية على الحجاز، وتمسك السلاطين العثمانيين منذ ذلك الوقت بهذا اللقب الدينى [١] ولحماية الأماكن الإسلامية المقدسة من أخطار البرتغاليين الذين حاولوا أكثر من مرة النيل منها أغلق العثمانيون البحر الأحمر،وحولوه إلى بحيرة إسلامية [٢]

---

[١] عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها جـ ١ ص٦٦.

[٢] محمد انيس: الدولة العثمانية والشرق العربى، القاهرة، الأنجلو المصرية ١٩٨٥ص١٤٤

٣-عدم إشراك العناصر العربية فى حكم بلادها:

ركزت الدولة العثمانية سياستها على أن يبقى العالم العربى فى حوزتها أطول مدة ممكنة ، ولذلك لم يسمحوا للعناصر العربية فى حكم بلادها ، بل قاموا بنشر عوامل الصراع بينها حتى تنشغل عن التفكير فى السلطة يضاف إلى ذلك أن الحكم العثمانى كان مركزيا ، فكان السلطان هو السلطة العليا المسيطرة على كافة الأجهزة السياسية والادارية والعسكرية، وكان السلاطين يرون أن الولايات العربية وما عليها هى من أملاكهم الخاصة ، ولهم حق تصرف فيها على أية صورة ، ولم يكن يهم الدولة سوى جمع الأموال والحاصلات التى صارت نهبا لها ولأتباعها [١] .

٤-عدم إشراك العرب فى الدفاع عن بلادهم :

بعد الفتح العثمانى للعالم العربى صار الدفاع عن الولايات العربية ضد أية اعتداءات خارجية من اختصاص القوات العثمانية فأفقد ذلك المواطنين العرب الإحساس بقدرتهم على حماية بلادهم [٢] .

ثانيا :الأحوال الاقتصادية :

أبقى العثمانيون النظم الاقتصادية القائمة على النظام الاقطاعى قبل حكمهم الولايات العربية كما هى.

وقد عنى السلطان سليم الأول بمسح الأراضى فى مصر والشام، وخصص مقدارا منها للأجناد ومقدارا لنفقات الوالى ومقدارا للسناجق وما عدا ذلك سمى بالأراضى الديوانية أى التابعة للديوان الأعظم با ستانة. وقد عد السلطان العثمانى نفسه مالكا لكل الأراضى الزراعية، ورأى أن أصحاب الأراضى لا يملكونها بل لهم حق الانتفاع بها فقط، ونتيجة لذلك أصبحت الأراضى تؤول عند موت صاحبها إلى الدولة، إلا أن ورثته يستطيعون ردها إلى حوزتهم إذا دفعوا مبلغا من المال للدولة . غير أن ذلك الوضع أخذ يتبدل بمرور الزمن وبخاصة بعد ازدياد نفوذ بكوات المماليك، وتمكنهم من تقسيم معظم الأراضى فى مصر بينهم فآلت إليهم ملكية ثلث ما يزرع من الأرض، ووزع الباقى بين الفلاحين والملتزمين والأوقاف [٣]

وقد قام العثمانيون باتباع طريقة المماليك فى تحصيل الأموال على الأراضى، باتباع نظام الالتزام بالمزايدة ، وذلك بأن يتعهد الملتزم بدفع مقدار محدد من المال كل عام عن مساحة محددة من الأراضى على أن يحصل من الفلاحين العاملين فى هذه الأرض كل ما يستطيع من أموال، وإذا هرب الفلاح وقت تحصيل الضرائب تصدر ضده عقوبات صارمة . وقد استخدم الولاة سلطاتهم لجمع كل ما يمكن جمعه من الأموال دون الاهتمام بأى اصلاح اقتصادى، فأدى ذلك إلى تدهور الزراعة والتجارة والصناعة وزاد الطين بلة تحول طرق التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح.

ثالثاً : الأحوال الاجتماعية :

انقسم المجتمع فى العصر العثمانى إلى ثلاث طبقات وهى طبقة الحكام الإتراك وطبقة الرعية المحكومين وطبقة المماليك وكان الأتراك يكونون داخل المجتمعات العربية طبقة أرستقراطية عزلت نفسها

---

[١] الراقد: المرجع السابق ص٢٦١-٢٦٥.

[٢] أنيس : المرجع السابق١٤٥.

[٣] عمر عبد العزيز: دراسات فى تاريخ مصر الحديث، الاسكندرية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص ١٥٤.

عن بقية أجزاء المجتمع بحكم فهمها لوظيفتها وإحساسها بذاتيتها، فكان الحكم العثمانى عديم التأثير فى حياة الأهالى [1] ، وخاصة أن العثمانيين لم يشاركوا العرب فى حياتهم الاجتماعية العامة، ولم يهتموا باللغة العربية وبانعاش آدابها وعلومها، كما لم يهتموا بعثمنة البلاد فاحتفظ العالم العربى ببنائه الاجتماعى الذى كان سائدا فيه قبل الحكم العثمانى، فاحتفظت الطوائف الدينية الإسلامية باحترامها وقد نجحت هذه الطبقة فى رد المظالم، وكانت بمثابة حلقة الوصل بين الطبقة الحاكمة والمحكومة، كما أحتفظت الطبقات المنتجة من التجار والفلاحين وأصحاب الحرف بسماتها السابقة، فكان لكل طائفة شيخ تخضع لسلطته وينوب عنها لدى السلطات الحكومية ويتولى شئونها ويدافع عنها ويقوم بحل المنازعات بين أفرادها، ويعاقب كل من يخالف منهم عرف وتقاليد الطائفة عقوبات صارمة، وكان منصب الشيخ وراثيا وكان لمشايخ الطوائف وكلاء يعرفون باسم النقباء [2] .أما فى الريف فكان شيخ القرية يقوم مقام شيخ الطائفة وكان الابن يرث أباه فى مهنته سواء كان الأب فلاحا أو تاجرا او صانعا، أما البنت فتتزوج زميل والدها فى الحرفة وقد أدى ذلك إلى تقوية الرابطة الاجتماعية وتوثيقها .أما أهل الذمة فقد ظلوا على هامش الحياة الفكرية والسياسية فى داخل المجتمع العربى وإن كانت لهم مشاركات فى الحياة الاقتصادية بطريقة فعالة .

وعند تقييمنا للحكم العثمانى فى الوطن العربى يتضح ما يلى:

١- أن الحكم العثمانى كان ضعيفا فى تأثيره على العالم العربى على الرغم من طول مدته التى تجاوزت أربعة قرون فلم ينجح العثمانيون فى عثمنة مصر، بل ما حدث هو أن تمصر العثمانيون وأصبحوا جزءا من الحياة المصرية .

٢- أن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ظلت جامدة وتدهورت الزراعة نتيجة لعدم الاهتمام بمرافقها وتدهورت الصناعة وانحصرت فى بعض صناعات بدائية، كما تدهورت التجارة بسبب اضطراب الأمن، وسوء طرق النقل، وضعف القوة الشرائية [3] .

٣- أن الحكم العثمانى كان يستند فى المقام الأول على رجال الدين الذين وقفوا بجانب الدولة العثمانية للاحتفاظ بنفوذها فى الولايات العربية حيث كانوا يصرون على ضرورة الولاء العام للسلطان باعتباره حامى حمى الإسلام .

٤- ظهور المحلية : أى إن الأفراد كانوا يقومون بتنظيم أمور حياتهم بعيدا عن تدخل الدولة أو أشرافها ففى المدن كان الناس يقسمون إلى طوائف حسب مهنتهم ووظائفهم الاجتماعية، فالطائفة كانت تضم أصحاب المهنة الواحدة وعلى رأسها شيخ يتولى تنظيم شئونها والفصل فى الخصومات بينها وبين الحكومة، وفى الريف كانت كل قرية تمثل مجتمعا قائما بذاته يكاد يكون معزولا عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية للقرى الأخرى وبعبارة أخرى ان نظام الحكم العثمانى تميز بضعف التدخل الحكومى، وترك الأهالى وشأنهم فى كل ما يتعلق بأمورهم [4] وقد أدى ذلك فى نهاية الأمر إلى عدم ولاء الفرد للدولة

---

[1] محمد أنيس: المرجع السابق ص ١٤٩

[2] عمر عبد العزيز: المرجع السابق ص١٥٦

[3] د.حسين خلاف:التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث ، القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، الطبعة الأولى ١٩٦٢ ص٧.

[4] محمد شفيق غربال : محمد على الكبير ص ٢٣ .

والتباعد بين الحاكم والمحكوم.

٥- نجحت الدولة العثمانية فى وقف الأطماع الأوربية فى الوطن العربى لفترة من الوقت، فقد أوقفت الخطر البرتغالى على البلدان العربية، ولاحقت فرسان القديس يوحنا وتمكنت من طردهم من ليبيا، كما كسرت شوكة الأسبان فى غرب حوض البحر المتوسط.

٦- اعتاد العثمانيون الأخذ ولم يعتادوا العطاء، فلم يهتموا بتحسين أحوال الولايات، لذلك كان يندر أن يصل من ا ستانة رجل صالح فى أخلاقه معروف باستقامته وسعة معرفته يحسن إدارة الأمور ، ويوقف الظالم عن ظلمه [١] .

٧- ادى عدم اهتمام العثمانين بالتعليم واغلاقهم لبعض المدارس، وحرمانهم للأهالى من التعليم اللهم إلا فى حدود ضيقة اقتصرت على الكتاتيب إلى انتشار الجهل واضعاف اللغة العربية وتوقف روح البحث العلمى والاجتهاد وانتشار البدع والخرافات ومع ذلك فقد احتفظ الأزهر بدوره فى المحافظة على كيان اللغة العربية أمام التركية .

٨- لم يهتم العثمانيون بالشئون الصحية فى البلاد مما أدى إلى تفشى الأوبئة والأمراض كما حدث فى مصر والشام والعراق ومن امثلة ذلك ما ذكره الجبرتى فى احداث ١٧٥٧م إذا يقول وفى تلك السنة نزل مصر مطر كثير سالت منه السيول وأعقبه الطاعون المسمى بقارب شيحة الذى أخذ المليح والمليحة ، ومات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم مالا يحصى [٢] .

كل ذلك أدى إلى اضمحلال أمور البلاد ، وزيادة بؤسها وتعاستها

وهكذا كانت أحوال الأهالى فى ظل الحكم العثمانى تزداد من سئ إلى أسوأ ، ولم يخرج من هذه الدائرة سوى العلماء الذين كانت لهم منزلة مرموقة لدى الحكام والأهالى على السواء ، كما كانوا يتمتعون بالمركز الاجتماعى الممتاز وبالثراء والجاه يضاف إلى ذلك أن رجال الطرق الصوفية الذين جنح معظمهم إلى وسائل الشعوذة والخزعبلات والبدع كانوا قد تمتعوا بنفوذ على الأهالى فى ظل الحكم العثمانى

ومما سبق يتضح ان العالم العربى خلال الحكم العثمانى قد خيم عليه الجهل والشعوذة فتوقفت النهضة العلمية ولم تجد لها طريقا إلى الظهور فى حين كانت أوربا تعيش فى عصر جديد ألا وهو عصر النهضة التى دفعت بالأوربيين إلى مجالات جديدة فى شتى علوم المعرفة .

ولكى يتمكن العثمانيون من احكام سيطرتهم على البلدان العربية أحاطوها بسياج منيع من العزلة الفكرية مما ابعدها عن مسايرة أوربا فى تقدمها وأدى بها إلى التأخر والتدهور والاضمحلال فى ميادين التجارة والصناعة والاقتصاد،مما أضعف العرب وجعلهم ينظرون إلى الحكم العثمانى على أنه حكم أجنبى كل هدفه استغلالهم، واستنزاف مواردهم، وأدى فى نهاية الأمر إلى تخلفهم عن ركب الحضارة، وابتلاع النفوذ الأوربى لبلادهم [٣]

---

[١] محمد كرد على: المرجع السابق جـ٢ ،ص٢٦٧.

[٢] انظر عجائب ا ثار فى التراجم والاخبار ، احداث عام ١٧٥٧

[٣] رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث، القاهرة دار الثقافة ١٩٧٥ ص٣١-٣٩